الفصل الرابع والعشرون

لكل إنسان منا شيء أو أشياء بينه وبين خالقه.. تقربه لربه ويحبه ويحبب فيه خلقه.. وقد يكون هذا الشيء (الصفة أو السلوك) خفية وسر بينه وبين ربه.. وقد يكون الله مقدرًا أن يكون معلنًا حتى يكون هذا السلوك أو الصفة عظة وعبرة وبيانًا للآخرين من البشر للاستهداء والاقتداء به وتقليده.. كسنه خيّرة وحميدة.. وتنتشر.. ويعم آثارها من فائدة على الكثير من البشر والناس.. للاعتياد والتقليد والتكرار..! كجبر الخواطر.. ومعاونة غير القادر.. والتصدق.. وعمل الخيرات..! وهذه ما تبقى لنا في آخر حياتنا ونطلق عليها جزافًا (السمعة الطيبة) والعمل الصالح ونورثها لأبنائنا وأحفادنا.. يفيدهم بها ربنا ويقويهم بها ويكرمهم ويبارك لهم ويسترهم ويحميهم بها!.. وأيضًا هي ما تصاحبنا في قبورنا عند انصراف ومغادرة الأهل والأحباب منا..! وتبقى لنا زادًا وأنيسا وونيسا تخفيفا وترويحا عنا..! وأيضًا بفضل الله علينا وكرمه تسبقنا إلى خالقنا كلنا عند يوم الهول والمحاسبة والدين (القيامة)..! بالخير والبركات وتيسير الحساب وسرعة الذهاب.. بإذنه ومشيئته ورحمته ومغفرته إلى أعلى عليين في الجنة بالنعيم..! (وحور العين) كطلب أحبابي وزملائي الوزراء والمساعدين (نبيل بك زويد .مصطفي كيلاني. أحمد التلاوي .كمال الدسوقي. وصلاح المحمدي وكل أحبابي الذواقة والأذكياء

في النقاوة والانتقاء والتقييم) ويبقى صدق القصد والنية لنا أجمعين !

تكملة لمقالي السابق عن التالتة تابتة من أحداث عندما كنت في غرفة الانعاش.. كان فيها فيه ثمانية أشخاص.. توفي لرحمة الله اثنان..! وكانت بالسرير المجاور لي سيدة مسنة فاضلة.. بس يا عيني كانت في قمة وآخر حياتها وسنها تجاوز المائة.. وكانت ضعيفة البنية وصغيرة الحجم.. إلا أنها بسبب أصابتها بالزهايمر.. والضغط والعصبية.. والنرفزة وعدم التحمل.. ونظرا لإعطائها القوة من ربها وكذلك الحس الفكاهي اللي في دمها.. كانت تغفو برهات وتصحى ولا تنام.. وتطلع بقذائف رائعة وسريعة ومتتالية وغير متوقعة.. في جميع الأوقات.. وتقلب غرفة الإنعاش إلى.. غرفة.. قابلني لو عاش.. من كتر الأفيهات.. غير المرتبة أو مرتبطة ببعضها والمفاجئة.. (ونقوم.. المتبقين أحياء في الغرفة) على صوتها الجهوري في الليل والصبح والظلام والعتمة.. في الأول مفزوعين.. ثم المحتفظين بجزء من وعيهم ضاحكين وعلى نفسهم ميتين من الضحك أجمعين.. فمثلا وفي عز الليل وفجرًا.. نفاجئ بها تشتم وتسب.. لسائق المترو.. لعدم توقفه في محطتها.. ولكمسري المترو لفصالها في تمن تذكرتها ووصلتها..؟ وتصل الأمور أحيانًا لتطاير زجاجات الأدوية والمحاليل في وجوهنا على السرير.. وأنا أول المصابين.. وأقربهم للصوت والمشاحنات والبهدلة

والتلطيش.. وأنا مش ناقص حد يعكر عليا صفوه استرخائي بعد أن اشتغل كبدي.. يا كبدي.. وأشكو لمين.. ومين يحوش غير الحواش..؟ وشوية نغفوه.. نلاقي أفلام درامية ومشاكل عائلية خيالية وألفاظ متنقية.. وفزع مبين من صراخها وخناقتها مع كل فئات المجتمع الحزين.. وتزيد لو حد تجرأ وقال لها لو سمحتي خفي شوية.. يتحول الاشتباك مباشرة ليه والضرب بالمستلزمات والأدوات الطبية من الحقن والأواني النحاسية والجرادل والأكياس المليئة بعلب الأدوية والزجاج ومكعبات الثلج.. واحنا في عز البرد والشتاء.. وكل ده مرورًا بسريرها المجاور ليها.. وهو أنا..! وكانت هذه الحالة تشتد ليلا عند انتهاء الزيارة ونكون أسرى الانعاش.. وبدأ يتساقط منا المرضى المساكين ويزيد عدد المتوفين منا اللي راقدين وشادين عليهم اللحافات والخوذ وشكاير الرمل كأننا في حالة حرب..! ولا مغيث غير بنتنا الممرضة النوبتجية والتي سرعان ما تهرب بجلدها عشان عندها قدرتها وصحتها كلها.. وعايزة تحتفظ بها..! وكان نجل هذه السيدة المريضة الفاضلة المحبوبة من الجميع.. لواء بالمعاش..! يأتي إلى غرفة الإنعاش يوميا.. لا للاطمئنان عليها فقط..! ولكن لتقديم لنا جميعا الاعتذار عما يبدر من والدته الجليلة.. حتى أصبحت جزءًا عزيزًا علينا واتعودنا عليه ولا نستطيع الاستغناء عنه وعن فكاهاته.. وهي وصلتنا كلنا..! سواء للسماوات.. أو لسابع أرض..؟ وحتى

مـن كتـب اللّه لـه النجـاة وخـرج مـن الانعـاش..! كان يرجـع زائـرًا لهـا للاسـتمتاع بآخـر الوقائـع المضحكـة والأحـداث..! أمـا أنـا فـكان الكثيـرون مـن الزائريـين مـن الأهـل والأقـارب والزمـلاء والجيـران والأصدقـاء والمترددين عليـا للاطمئنـان.. عنـد التسـليم عليـا..! أسـلم وأبتسـم.. ولا أعلـم عنهـم شـيئًا عنهـم أو حتـى أسـماءهم، وخجـلا منـي أظهـر معرفتـي بهـم وأنـا كأنـي أول مـرة أشـوفهم..؟ وأسـأل نفسـي أنـا فـين ودول مـين.. وجايـين لمـين..؟ قضيـت ٤٥ يومًـا كالمسـتجدين في المستشـفى وخرجـت في أواخـر أبريـل عـام ٢٠١٤.. وأجمـع كل الأطبـاء والاستشـاريين.. د نهـى رئيسـة قسـم الكلـي بالمستشـفى وأ.د أشـرف دنيـا.. والعزيـز الغالـي الفاضـل والـذي لـن أنسـى فضلـه عليـا وإنقـاذي بفضـل ربـي أ.د مدحـت العوضـي.. (إننـي المريـض المعجـزة).. وترتـب علـى اسـتمرار القسـطرة فيـا.. (لأكثـر مـن شـهرين) تداعيـات خطيـرة وآثـار جانبيـة أليمـة.. ونتائـج جلـل.. كأقـوال كل الأطبـاء..؟ ومواقـف جسـام ومحبطـة.. مـن كبـار الأطبـاء والمستشـارين.. مـن كل المستشـفيات (السـلام.. الفـؤاد.. المعـادي.. الطبـي العالمـي.. الجويـة.. المسـالك الدوليـة.. القصـر العينـي.. القاهـرة وعـين شـمس التخصصـي.. الشـرطة بالعجـوز والصبيـة (مدينـه نصـر).. غيـر عيـادات كبـار الدكاتـرة الاستشـاريين.. في القاهـرة كلهـا..) ومما زاد الأمـور سـوءًا سـبق إجرائـي عمليـة جراحية بأمريكا٢٠ في فبرايـر ٢٠٠٩ في كليفلانـد كلينـك فاونديشـن في ولايـه

أوهايو (براكي ثيربي) (بذور إشعاعية) وأنا الوحيد بالعالم أمشي أزمر في البوابات (الاليكترونية) والخاصة بجميع مطارات العالم ولا يستطيع أحد يقولي بم.. وكان معي كارت ممغنط معتمد من هذه المستشفى الأمريكية وكذلك الحكومة الفيدرالية.. بالتنبيه على جميع الدول ومطاراتها.. سعيد باشا.. يمشي ويعدي ويزمر ويتأمر ويمر.. ولا أي أحد ييجي جنبه أو حتى يكلمه.. أو يقوله بمْ..! الباشا رجل متميز وفريد . ومُشِع.. وتعظيم سلام دولي.. في كل المطارات حولي..؟

ساءت الأمور وانسدت.. ومبقاش لها أي مخرج.. سواء محليًّا بمصر.. أو دوليا حتى بأمريكا وجميع الدول الأوروبية..؟ وحار كل أطباء العالم في علاجي.. بل خافوا من الاقتراب مني..

وكانوا بيقولوا ليا محليًّا ودوليًّا: إنك مريض risk.. وحتى الاقتراب منك خطير.. لو تدخلنا حتى جراحيًّا سيحدث لك نزيف دموي أو سلس في إخراج المياه.. نظرا لوجود البذور الإشعاعية وزرعها بداخل جسمك.. وحاتعيش بالقسطرة على طول.. أو نعملك فتحه بوَصْلة معدنية في بطني بالإبرة والخيط والفتلة.. وكل شوية بالبكرة نغيرها..؟ أو كل ما تعوز تخش الحمام تخطف رجلك من البيت للمستشفى وبسرعة تمام..! ويعملولك قسطرة.. لإخراج المياه المبسترة..! أو نعملك مصنع في بطنك بقنطرة..؟

واستمريت على هذا الحال (١٦) شهرًا اتنقل كل شوية ما بين القسطرة الدائمة الخطيرة التداعيات والأمراض وتقييدي في حتى المشي أو التحركات بالآلام والمنغصات.. ثم فترة راحة بسيطة نسبية..! يومين.. ثم بالقسطرة المؤقتة للتفضية في مستشفى الشرطة بمدينة نصر في جميع الأوقات وخاصة ليلا والفجرية.. حتى الضباط النوبتجية في المسالك كانوا عاملين في ورديتهم طوارئ ليا.. ويسبوا ويلعنوا في هذا الداء والذي كان يحرمهم من النعاس أو الراحة ولو قليلا في ليل النوبتجية.. حتى أني ذهبت لمساعد وزير الداخلية أخي الفاضل محمود فايز بالأحوال المدنية.. لتغيير عنواني سكني على مستشفى مدينة نصر يا عنيا..! ووصلت لحارة سَدّ.. وكل وسيلة طرقتها.. وكل حاجة عملتها.. محليًّا ودوليًّا.. ومفيش فايدة.. كنت أنظر للناس وفي وجوههم وكنت أدعو لهم بتمام العافية.. وأن يسعدهم ويكرمهم ويبارك لهم كلهم.. كنت.. نسيت النوم.. وأحلامه.. ونسيت الضحك وكلامه..! كنت أتمنى من ربي أن يمن عليا بالعافية وراحة البال للابتسام..! وذات مرة كنت وحيدًا بالمنزل.. وفي يوم لا أنساه أبدًا..! فتح عليا الله بيه.. بالحديث القدسي (وعزتي وجلالي لأدبرن أمر من لا حيلة له حتى يتعجب أصحاب الحيل).. وناجيت ربي اللي بحبه وماليني.. ودايما في نفسي وفكري وخيالي ووجداني..! وأناديه وأكلمه وأناجيه وأدعيه..! وأشكو ليه همي..! وأبث له حزني..! وأطلب

منـه فقـط..! الحـل يـا اللّه..! وانفجـرت لأول مـرة بالبـكاء العميـق والطويـل وبالصـوت المرئـي والمسـموع..؟ وبالثقـة وباليقـين.. برضائـي وشـكري ليـه..! وأملـي بنظرتـه ليـا ورحمتـه لحالـي..! والتخفيـف عليـا.. وايجـاد المخـرج ليـا..! وكنـت علـى يقـين تـام وثقـة مطلقـة.. بأنـه آن الاوان لنـزول رحمـة اللّه عليـا وبركتـه فيـا..! وانتهيـت مـن الفضفضـة مـع ربـي وأنـزل اللّه سـكينته والهـدوء والاطمئنـان بيـا..! ومسـحت دموعـي..! وغفيـت ونمـت..! وأنـا بالقسـطرة المسـتديمة..! في الصالـة علـى الكنبـة والكرنـب (كوشـة صغيـرة كالمخـدة)..

وصحيـت..! وافتكـرت أحـد الأقـارب الأعـزاء.. واتصلـت..! وا.. وا.. إيـه بتـوأوأو ليـه.. عايزيـن منـي إيـه..؟

كفايـه اسـتنزاف..! وقرايـة ببـلاش..؟ واسـتغلالكم ليـا..! يـا شـوية باشـوات..! مداريـه عشـان حبـة نـكلات.. مصديـة..! مـش عايزيـن تدفعوهـم ليـا..؟ الحـق عليـا..؟

●●●